لقاء العدد

حوار مع رئيس التحرير

إسلامية المضمون.. ليست ش

هذا اللقاء.. رحلة في أعماق الأستاذ الدكتور عبد القدوس أبو صالح، رئيس تحرير هذه المجلة.. يكشف فيه عن ماهية الأدب الإسلامي، ويرد على مزاعم الرافضين لمصطلحه.. فماذا قال؟

■■ ماهو تعريف الأدب الإسلامي؟ وما مفهوم هذا الأدب؟

●● تكامل تعريف الأدب الإسلامي لدى عدد من رواد هذا الأدب، إلى أن تبنت رابطة الأدب الإسلامي التعريف التالي: «الأدب الإسلامي هو التعبير الفني الهادف عن الحياة والكون والإنسان وفق التصور الإسلامي» وإذا حللنا عناصر هذا التعريف اتضح لنا المفهوم المتميز للأدب الإسلامي.

والعنصر الأول في هذا التعريف أن الأدب الإسلامي «تعبير فني» ومعنى ذلك أن الأدب الإسلامي يهتم بالقيم الجمالية، ولايقبل أن يدخل فيه نص لا تتحقق فيه الفنية، لأنه لايمكن أن يسمى أدباً، وليست إسلامية المضمون أبداً «شفيعة» للأديب الإسلامي أن يقصر في جمالية الشكل ولا في التجويد الفني، فذلك مما يزري بالأدب الإسلامي ويضر به ويكون حجة عليه في يد خصومه ومعارضيه، والعنصر الثاني في هذا التعريف أن الأدب الإسلامي أدب «هادف» ومعنى ذلك أنه يؤمن بالالتزام في الأدب، وهو التزام عفوي نابع من إيمان الأديب المسلم، دون أن ينقلب إلى التزام قسري، كالالتزام الذي تبنته الواقعية الاشتراكية، وفرضته على الأدباء في دول الستار الحديدي بقوة الحزب والدولة.

والعنصر الثالث في التعريف أن الأدب الإسلامي تعبير عن «الحياة والكون والإنسان» ومعنى ذلك أن الأدب الإسلامي يشمل أي موضوع وأية تجربة إنسانية، إذ ليس هناك موضوع يحظر على الأديب الإسلامي أن يتناوله في قصيدة أو قصة أو

ـفيعاً للكـاتب أن يقصـر في جماليـة الشـكل

مسرحية، وليس صحيحاً ما يتوهمه بعض المعارضين حين يزعمون أن الأدب الإسلامي هو أدب الوعظ المباشر الذي تحدد فيه الموضوعات وتقيد فيه تجربة الأديب، ويحد من انطلاقه وإبداعه.

وأما العنصر الأخير في التعريف وهو «وفق التصور الإسلامي» فهو شرط يتعلق بالمضمون، وهو الشرط الذي يميز الأدب الإسلامي عن غيره، إذ لا يمكن أن يدخل النص في دائرة الأدب الإسلامي ما لم ينطلق من التصور الإسلامي الملتزم بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.

■■ هناك من يزعم أن الأدب الإسلامي تنقصه النصوص الإبداعية، وأنه بناء نظري، لايدعمه الوجود الفعلي.. فما ردكم على هذا الزعم؟

●● أقول في الرد على هذا الزعم أن الآداب الإنسانية كلها لاتعرف مذهباً أدبياً يملك من النصوص الإبداعية وامتدادها أربعة عشر قرناً غير الأدب الإسلامي.

أوليس القرآن الكريم وهو كتاب الله معجزة بيانية تحدت الإنس والجن؟ وهو بذلك يمثل المثل الأعلى الذي استضاء الأدب الإسلامي بمشكاته عبر العصور، سواء في مجال الشعر وأغراضه، أم في مجال النثر وأصنافه، وسواء ماكتب فيه باللغة العربية أم ما كتب في لغات الشعوب الإسلامية، وسواء ماكان في الأدب القديم أم ما أبدع في العصر الحديث.

ولقد أتيح لي أن أكتب بحثاً عن غرض واحد من أغراض الشعر الإسلامي في الأدب القديم هو شعر الحماسة الإسلامية فاجتمع لي كم هائل من الشعر بدءاً من شعراء الرسول ﷺ في معركتهم مع كفار قريش، ثم ملحمة الفتوح الإسلامية في العصر الأموي، ثم تيار الحماسة الإسلامية في العصر العباسي لدى أبي تمام والبحتري والمتنبي وأبي فراس والشريف الرضي وأسامة بن منقذ وغيرهم.. إلى عصر الحروب الصليبية الذي ضعفت فيه نبعة الشعر وسيطرت الصنعة المتكلفة عليه إلا ماكان في شعر الحماسة الإسلامية، فكيف إذا أضفنا إلى ذلك شعر الزهد الذي لم يستطع أحد أن يجمع كل ما قاله أبوالعتاهية فيه، ثم شعر الدعوة الإسلامية وشعر الدعاء والابتهال إلى الله.

● أحمد حسن الزيات

● د. عماد الدين خليل

وفي العصر الحديث تألق الشعر الإسلامي على يد البارودي الذي دارت حماسياته على صورة المجاهد المسلم، وتبعه أمير الشعراء أحمد شوقي في إسلامياته الخالدة وفي رثائه للخلافة الإسلامية، وجاء بعده أحمد محرم بملحمته الإسلامية، وكان ذلك كله إيذاناً بطوفان الشعر الإسلامي متمثلاً في شعر العودة إلى الإسلام، وفي الرد على هجمة المدرسة التغريبية، وفي شعر المناسبات الإسلامية، ثم كانت ملحمة الشعر

حاوره: د. غريب جمعة

الإسلامي في مقاومة الاستعمار، وفي مأساة فلسطين وأفغانستان وأخيراً في البوسنة والهرسك وفي شعر الصحوة الإسلامية.

وأما في مجال النثر الفني فلا يستطيع أحد إحصاء ما تزخر به كتب الأدب من نصوص الأدب الإسلامي مع أن كثيراً من هذه النصوص منثورة - كما يقول الشيخ أبوالحسن الندوي - في كتب الحديث والسيرة والتاريخ وكتب الطبقات والتراجم والرحلات وفي الكتب التي ألفت في الإصلاح والأخلاق والاجتماع، وفي العصر الحديث نجد عطاء الأدب الإسلامي غزيراً في مختلف الفنون النثرية، ففي فن المقالة نجد الرافعي وشكيب أرسلان، والزيات والعقاد وسيد قطب ومحمود شاكر وعلي الطنطاوي.. وفي القصة والمسرحية نجد باكثير والسحار ونجيب الكيلاني وعماد الدين خليل وكثيرين غيرهم.

وإذا كان كل ما قدمناه يقتصر على الأدب الإسلامي المكتوب باللغة العربية، فهناك فيض هائل في آداب الشعوب الإسلامية، ويكفي أن نشير إلى أن في الأدب الإسلامي المكتوب باللغة الأوردية ملاحم يبلغ بعضها عشرين ألف بيت من الشعر ويكفي أن نذكر محمد إقبال شاعر الإسلام، ومحمد عاكف مؤلف النشيد القومي التركي، ونجيب فاضل أمير الشعراء الأتراك.

■■ طرح مع مصطلح «الأدب الإسلامي» الذي تبنته رابطة الأدب الإسلامي العالمية مصطلحات أخرى بديلة، تراوحت مابين مصطلح «أدب الدعوة»، و«الاتجاه الإسلامي في الأدب»، و«الأدب المسلم» و«آداب الشعوب الإسلامية» فما رأيكم في هذه المصطلحات؟

●● أقول: أما مصطلح «أدب الدعوة» فمازال يدرس بهذا الاسم في إحدى جامعات المملكة العربية السعودية، وما من شك في أن أدب الدعوة يتوج الأدب الإسلامي، ولكن الأدب الإسلامي - كما يدل التعريف الذي قدمناه - لاينحصر في أدب الدعوة فقط، وإنما يشتمل على أي موضوع وأية تجربة إنسانية تتعلق بالكون الفسيح والحياة المتشعبة والإنسان الذي يحيا حياته في هذا الكون، وهكذا نقول: إن الأدب الإسلامي يشتمل على أدب الدعوة، ولكنه لايحصر في ميادينها مهما كانت متعددة ومتسعة.

وأما مصطلح «الاتجاه الإسلامي في الأدب» فقط طرحه بعض النقاد ليكون حلاً وسطاً لا يتهم أصحابه بأنهم يعارضون الأدب الإسلامي جملة وتفصيلاً، فهم يقبلون به اتجاهاً أدبياً يكون في غرض من الأغراض الشعرية أو لدى شاعر أو كاتب، ظهر في نتاجه هذا الاتجاه في صورة بارزة لايمكن تجاهلها.

ونقول في هذا المصطلح: إنه يهون من شأن الأدب الإسلامي، ويجعله مجرد اتجاه يظهر حيناً ويختفي حيناً آخر، وكأن الإسلام الذي أوجد الأمة الإسلامية وحضارتها المتكاملة، وميزها بما فيه من خصائص التصور الإسلامي.. لم يوجد في أدب هذه الأمة ما يتجاوز مجرد الاتجاه الأدبي ليكون أدباً إسلامياً له مضمونه المتميز وسماته الخاصة به، بينما نرى كثيراً من المذاهب الأدبية العالمية يقوم على فلسفات وضعية، تخطئ أكثر مما تصيب، فكيف نضن على الإسلام الذي هو من وحي حكيم خبير، والذي هو أرقى من كل الفلسفات المثالية والنظم البشرية أن يكون له مذهب أدبي متميز؟

وأما مصطلح «الأدب المسلم» فإما أن يراد به ما يراد بمصطلح الأدب الإسلامي مع وضع كلمة «مسلم» بدلاً من «إسلامي» وإما أن يراد به - كما يقول بعض الداعين إليه - الأدب الذي يصدر عن أي مسلم كان، فإذا كان المراد هو الاحتمال الأول، فإن كلمة «الإسلامي» هنا أفضل من كلمة «المسلم» حيث يقال: الحضارة الإسلامية والأمة الإسلامية والعالم الإسلامي ولايقال: الحضارة المسلمة والأمة المسلمة والعالم المسلم.

وإذا كان المراد بالأدب المسلم، الأدب الذي يصدر عن أي مسلم كان، فهذا المصطلح غير مقبول لأن «المعيارية» فيه غير دقيقة أبداً، فهي تحكم على الأدب بدين صاحبه سواء أكان هذا الأدب موافقاً للتصور الإسلامي أم مخالفاً ومصادماً له، بالإضافة إلى أن كلمة «مسلم» لم تعد تتجاوز لدى كثير من «المسلمين» ماهو مثبت فيما يسمى ببطاقة الهوية أو حفيظة النفوس.. دون أن يكون

للإسلام تأثير في أدب كثير من «الأدباء المسلمين» ولا في عقيدتهم ولا في أخلاقهم.. بل ربما وجدت لديهم وفي أدبهم بالذات مصادمة ومخالفة لكل ما يدعو إليه الإسلام.

وأما مصطلح «آداب الشعوب الإسلامية» فهو كما تدل صيغته لايمكن أن يكون عنواناً لمذهب أدبي.. بالإضافة إلى أن أحداً من النقاد أو الدارسين لم يزعم أن آداب الشعوب الإسلامية تدخل كلها في مفهوم «الأدب الإسلامي».. ففي آداب هذه الشعوب كما هو الحال في الشعب العربي المسلم.. مذاهب متباينة واتجاهات متعارضة يقع بعضها قريباً من مفهوم الأدب الإسلامي ويقع كثير منها فيما وقع فيه الأدب العربي المعاصر من اتباع المذاهب الأدبية العالمية، بما فيها تلك المذاهب المبنية على «معتقدات» أو «إيديولوجيات» مخالفة للإسلام.

وها هم أولاء الأدباء الإسلاميون في الهند وتركيا وفي أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي يشكون مما يشكو منه الأدباء الإسلاميون في العالم العربي من طغيان تيار الحداثة الفكرية التي تعد أكبر فتنة يتعرض لها المسلمون عن طريق جانب مهم من جوانب حياتهم وهو الجانب الفني الذي لاينكر أحد أهميته وخطورته.

■■ كيف يصنف النتاج الأدبي بصورة عامة من وجهة نظر النقد الأدبي الإسلامي؟

●● نستطيع أن نقول بناء على ما قدمنا من تعريف الأدب الإسلامي ومفهومه أن النتاج الأدبي أياً ما كان نوعه ينقسم أو يدور في دوائر ثلاث:

الأولى: دائرة الأدب الإسلامي الملتزم بالتصور الإسلامي، وهي دائرة لا تقتصر على أدب الدعوة، كما أسلفنا بل تتسع لتشمل أي موضوع يدور حول الكون والحياة والإنسان.

الثانية: دائرة الأدب الحيادي أو دائرة الأدب المباح، وهو الأدب الذي لايخالف التصور الإسلامي وإن لم يلتزم به أو يصدر عنه.. وهي دائرة تتسع للأدب الجمالي المحض أو أدب التسلية والترويح عن النفس.

أما الثالثة فهي: دائرة الأدب الذي يخالف التصور الإسلامي ويضاده، وهذا الأدب هو الذي يرفضه الأدب الإسلامي، ويعد التصدي له من أول واجباته ومهماته، لأنه أدب العقائد والمذاهب والإيديولوجيات، المنحرفة عن الإسلام، أو أدب العبث الهدام، أو الأدب الوجودي المتمرد، أو أدب الجنس والانحلال الخلقي، أو أدب الحداثة الفكرية المدمرة، لا أدب الحداثة بمعنى التجديد في المضمون والشكل.

■■ يذهب بعض المتحمسين للأدب الإسلامي إلى أن هذا الأدب يشمل كل نتاج لا يضاد الإسلام ولايصادمه، فما هو موقفكم من هذا الرأي؟

●● هذه حماسة يشكر أصحابها على نياتهم الحسنة، ولكننا نقول لهم: لقد آن لكم أن تكفوا عن هذا الغلو وعن هذه الحماسة التي تجاوزت الحد حتى أوقعت في الضد.

وقد بينت في الفقرة السابقة أن هذا الأدب الذي لايضاد الإسلام أو يصادمه، ولكنه لايصدر عن التصور الإسلامي يدخل في دائرة الأدب المباح أو الأدب الحيادي، أما إدخاله في دائرة الأدب الإسلامي فإنه يضيع «معيارية» هذا الأدب، إذ يدخل فيه كل نص لايتعرض إلى الإسلام بخير أو شر وإنما قامت الدعوة إلى الأدب الإسلامي على إيجاد نظرية أو مذهب أدبي إسلامي، ينطلق من التصور الإسلامي السليم، لينتج أدباً إسلامياً هادفاً.

■■ هل يدخل الإبداع الأدبي الذي يصدر عن أديب غير مسلم في الأدب الإسلامي، إذا كان مضمونه إيمانياً، أو كان يعزز قيمة من القيم الإسلامية؟

●● إن قصارى ما نقوله في هذا الأدب وما يحتويه من نصوص أنها تدخل فيما يسمى «بالأدب الموافق» دون أن نجعل قائليها أدباء إسلاميين.

ذلك أن القضية ليست قضية نص منفرد بذاته، وليست قضية نصوص متعددة تتفق مع الإسلام بصورة عرضية، وليس يقبل في هذا المجال القول بأن النص الأدبي ينفصل عن قائله بمجرد إبداعه إياه، كما لايحتج هنا بشطر من الحديث النبوي الذي يقول: «كل مولود يولد على الفطرة» مما

يجعل التجربة الإسلامية عند غير المسلمين أمراً ممكناً، بل لعله الأصل كما يقول بعض المتحمسين، وإنما عليهم أن يقفوا عند الشطر الثاني من الحديث: «فأبواه يهودانه أو يمجّسانه أو ينصّرانه».

ففي هذه التتمة إشارة إلى أثر عوامل التربية والبيئة فالأديب غير المسلم يولد على الفطرة حقاً، ولكن هذه الفطرة ما تلبث غالباً أن تفسد بالتصور الذي يدخل عليها من جهة الدين الذي يحمله أبواه عليه، والذي يكون التصور فيه منحرفاً فاسداً، إلا أن يكون دين الإسلام. ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾.

وقد يكون الانحراف من جهة البيئة بما فيها من انحراف عقدي أو فكري أو خلقي وقد يلتقي الأديب غير المسلم مع الأديب المسلم في اتجاه إنساني أو اتجاه خلقي.. لكن طبيعة التجربة قد تختلف باختلاف التصور أو الدوافع، وهي تكون عند الاتفاق التام من قبيل «التوافق العرضي» الذي لاتبنى عليه قاعدة مطردة ولا حكم شامل.

ومن هنا ينبغي الحذر والبعد عن التعميم، وإلا جاز لنا حين نرى ما كتبه «تولستوي» أو «طاغور» أو «جوركي» أو «سارتر» من نصوص قد تتفق جزئياً وبصورة عرضية مع ما في الإسلام من:

- نظرة إنسانية كما لدى تولستوي الروسي وطاغور الهندي.
- أو دعوة إلى التزام الأديب ومسئوليته بمجرد إيمانه بموقف ما، كما لدى سارتر الوجودي.
- أو دعوة إلى المساواة والعطف على الفقراء، كما نجد عند جوركي الشيوعي الذي مهد للواقعية الاشتراكية.

أقول: لجاز لنا أن نجعل ما نجده عندهم من النصوص الموافقة ـ وهم بين دهريين وهنادكة وشيوعيين ووجوديين ـ نصوصاً داخلة في الأدب الإسلامي، وهذا أمر لايقبله ولايقول به أحد من أهل المذاهب الأدبية العقدية، فلماذا يخص الأدب الإسلامي بهذا الموقف ويحمل على قبوله؟!

كذلك فإن أولئك المتحمسين الذين يريدون أن يوسعوا دائرة الأدب الإسلامي لكل نص إيجابي مهما كان قائله لايدركون ما سوف يستتبعه حول نصوص الأديب غير المسلم حين تكثر هذه النصوص الموافقة لدى أديب نصراني أو يهودي مثلاً.. حيث ينبغي عندئذ ـ قياساً على موقف المتحمسين ـ أن نقول: إن الأديب النصراني أو اليهودي فلان ـ أديب إسلامي.. وهذا مالايمكن القبول به حتى من قبل الأدب اليهودي أو النصراني نفسه..

وقد احتج أحد المتحمسين بأن رائد الأدب الإسلامي الأستاذ محمد قطب قد استشهد في كتابه «منهج الفن الإسلامي» بنصوص لأدباء غير مسلمين، ولكن الحقيقة أن الأستاذ محمد قطب كان واضحاً في ذلك حيث يقول في هذا الكتاب (ص٦٥ طبعة دار الشروق): «والفن الإسلامي من ثم ينبغي أن يصدر عن فنان مسلم، أي إنسان تكيفت نفسه ذلك التكيف الخاص، الذي يعطيها حساسية شعورية تجاه الكون والحياة والواقع بمعناه الكبير، وزود بالقدرة على جمال التعبير، وهو في الوقت ذاته إنسان يتلقى الحياة كلها من خلال التصور الإسلامي، وينفعل بها ويعانيها من خلال هذا التصور الإسلامي ثم يقص علينا هذه التجربة الخاصة التي عاناها في صورة موحية».

وربما كان بعضهم قد التبس عليه الأمر من بعض العبارات التي وردت في الكتاب دون تدقيق فيما تدل عليه وسط السياق الكامل للفصل حيث وردت العبارة التالية (ص٢٦٦): «ومع ذلك فإن التصور الفني الإسلامي للكون والحياة والإنسان هو تصور كوني إنساني.. مفتوح للبشرية كلها، لأنه يخاطب الإنسان من حيث هو إنسان، ويلتقي معه من حيث هو إنسان. ومن ثم يستطيع أي إنسان أن يتجاوب مع هذا التصور، ويتلقى الحياة من خلاله بمقدار ما تطيق نفسه هذا التلقي وذلك التجاوب فيلتقي مع الفن الإسلامي بذلك المقدار».

وبناء على هذه العبارات الأخيرة استشهد الأستاذ محمد قطب بنصوص الأدباء غير المسلمين دون أن يدخل هذه النصوص في الأدب الإسلامي.

وإلى مثل هذا الموقف ذهب سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية في حوار أجرته معه مجلة «الأدب

الإسلامي» التركية وقد جاء في هذا الحوار مايلي:

■■ إذا كان هناك أديب غير مسلم أنتج أدباً لايخالف الإسلام.. هل يكون أدباً إسلامياً؟

●● إذا كان مؤسساً على مبادئ شريفة، وإذا كان تعبيراً عن فكرة صحيحة نقول: هذا أدب جيد.

■■ هل نقول: إنه أدب إسلامي؟

●● لا.. لا نقول إنه أدب إسلامي.. نقول إنه أدب صالح.

■■ هل يمكن أن نصل من هنا إلى أن من شروط الأدب الإسلامي أن يكون الأديب مسلماً؟

●● نعم.

■■ يذهب بعض النقاد إلى أن الأدب العربي أدب إسلامي في جملته، وبالتالي فلا حاجة إلى هذا المصطلح الذي يزيد في تجزئه الأدب العربي.. ما ردكم علي ما يقوله هؤلاء النقاد؟..

●● لاتخرج نصوص الأدب العربي في قديمه وحديثه عما قدمناه من تقسيم النتاج الأدبي على دوائر ثلاث: دائرة الأدب الإسلامي الملتزم بالتصور الإسلامي ودائرة الأدب المباح أو الحيادي، ودائرة الأدب المضاد الذي يخالف التصور الإسلامي.

وحقاً كان الأدب العربي في عصر النبوة والخلافة الراشدة أدباً إسلامياً في جملته، ولكن دائرة الأدب المضاد كانت تتسع عبر القرون بمقدار بعد المسلمين عن الالتزام بالإسلام وجرأة بعض الشعراء على المجاهرة بالإلحاد والزندقة، وارتكاب الآثام والمعاصي، حتى إذا جاء العصر الحديث اتسعت دائرة الأدب المضاد، وأصبح الأدب العربي - كما يقول الأستاذ محمد قطب «أدباً مزوراً» لايعبر عن عقيدة الأمة ولا ينطلق لدى كثير من أعلام الكتاب والشعراء من التصور الإسلامي، ولا يبالي بثوابت الإسلام دون أن يعني ذلك غياب الأدب الإسلامي على الرغم من محاولات التعتيم عليه وعلى رموزه.

وهكذا يصبح القول بأن الأدب العربي أدب إسلامي في جملته قولاً لا يخلو من التعميم والبعد عن الواقع الملموس، وبخاصة بعد أن أصبح الأدب العربي المعاصر صدى للمذاهب الأدبية العالمية التي تختلف فيما بينها اختلافاً قليلاً أو غير قليل،

ولكنها تتفق في كونها مخالفة للتصور الإسلامي في معظم ماجاءت به.

وأما أن الأدب الإسلامي سوف يعمل على تجزئة الأدب العربي، فهذه التجزئة حاصلة قبل الدعوة إلى الأدب الإسلامي في العصر الحديث، ولكن الأجزاء التي تحتل الساحة الأدبية في العالم العربي أجزاء متناحرة ومتنافسة، وإنما يجمعها أن كثيراً منها لاينطلق من عقيدة الأمة - إن لم يعارضها - ولايعبر عن وجدانها وتراثها، ولا يلائم ذوقها وأصالتها، بينما نجد الأدب الإسلامي هو الذي يستطيع أن يقوّم هذه المذاهب، وأن يحكم عليها، وأن يكون بديلاً عنها، وبذلك تتوحد الساحة الأدبية، أو يقصى منها ما يعارض عقيدة الأمة على الأقل.

ونزيد على ذلك أن الأمة الإسلامية وفي مقدمتها الأمة العربية بما تفرضه عليها عقيدتها لن تتخلى عما يوجبه عليها دينها بحجة أن أدبها الإسلامي يزيد في تجزئة الساحة الأدبية وإذا كان هناك خيار مفروض بين العقيدة والأدب فليس هناك مؤمن بالله يؤثر الأدب على العقيدة.

■■ يذهب بعض المتحمسين للغة العربية إلى أن الأدب الإسلامي ينبغي أن يقتصر على الأدب المكتوب باللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم، ماذا تقول لأصحاب هذا الرأي وهم من دعاة الأدب الإسلامي؟

●● لاشك أن لغة القرآن هي اللغة الأولى للأدب الإسلامي إلا أنه لايجوز أن يحصر في لغة واحدة مهما كانت دوافع الغيرة والحماسة للغة القرآن الكريم.

ومن الواضح أن هذا الموقف الذي تمليه الحماسة المفرطة يضيق دائرة الأدب الإسلامي ويحول بينه وبين أن تكون له نظرية أو مذهب عالمي، يأخذ به الأدباء على مختلف جنسياتهم، ويصدرون عنه على اختلاف لغاتهم، ما دمنا نشترط أن يتعلموا العربية ويكتبوا بها حتى ندخل نتاجهم في دائرة

الأدب الإسلامي.

وأقول: إن مايذهب إليه بعض المتحمسين هنا غير مقبول لاإسلامياً ولا إنسانياً ولا واقعياً، فهو غير مقبول إسلامياً لأن هذا الموقف يدخلهم في العصبية التي نهى عنها الإسلام، وهذا الموقف يمثل نوعاً من الاستعلاء على الشعوب الإسلامية غير العربية، وما من شك في أن الإسلام يبيح للمسلم أن يكتب الأدب بلغة قومه أو أية لغة يشاء.

وهذا الموقف غير مقبول إنسانياً لأن فيه ظلماً للأدباء الإسلاميين من غير العرب، حين ننكر أن يكون نتاجهم داخلاً في الأدب الإسلامي، وإن كان صادراً عن التصور الإسلامي الصحيح، فإن الله لم يخص العرب ولا الناطقين بالعربية بالمواهب الأدبية دون غيرهم من الناس، ولم يحظر الإسلام على غير العرب أن يمارسوا نشاطاً إنسانياً هو في فطرة الناس وطبائعهم، إذ يعبرون عن مشاعرهم تعبيراً أدبياً باللغة التي يتكلمونها ويكتبون بها.

وهذا الموقف مرفوض من جهة الواقع الذي نراه أمامنا، والذي يدحض هذه النظرة الضيقة، فالشعوب الإسلامية بأسرها لها أدبها القومي أو المحلي المكتوب بلغتها، ولهذا الأدب وجود قديم قبل أن تسلم هذه الشعوب وبعد إسلامها.

وما أدري ماذا يسمي المتحمسون ذلك الأدب الإسلامي الذي لامأخذ عليه من وجهة نظرهم إلا أنه لم يكتب بالعربية؟ ثم كيف يميزونه عن الأدب المضاد للتصور الإسلامي والمكتوب باللغة التي كتب بها الأدب الملتزم بالإسلام؟

وإذا كان كثير من أدباء الشعوب الإسلامية في القديم تعلموا العربية، وصاروا من شعرائها وكتابها.. فذلك لأن اللغة العربية كانت آنذاك لغة الخلافة التي تحكم أنحاء العالم الإسلامي، كما أنها لغة العلم والحضارة بالإضافة إلى أنها لغة القرآن التي يتعبد بها المسلمون ربهم على اختلاف أجناسهم، أما أن نقصر الأدب الإسلامي على اللغة العربية وحدها فهذا أمر مستغرب، وكثير من المذاهب الأدبية، كالواقعية الاشتراكية، والوجودية وغيرهما، كتب أتباعها بلغات مختلفة، لأن الجامع في المذاهب الأدبية العالمية من أسس عقدية أو نظرية أدبية أو منهج نقدي، كل هذه الأمور لاتختص بلغة معينة يحظر على أتباع المذهب الأدبي أن يكتبوا بغيرها.

■■ هناك من يقول: إن طرح مصطلح «الأدب الإسلامي» يعني أن ما لايدخل فيه «أدب غير إسلامي» بالإضافة إلى أن إطلاق صفة «أديب إسلامي» يثير حساسية لدى الآخرين.. ماقولكم في هذا؟

●● إن ما قدمناه من تقسيم النتاج الأدبي إلى أدب إسلامي وأدب حيادي مباح وأدب مضاد للتصور الإسلامي هو خير رد على ذلك الاعتراض الذي طرحه بعض المعارضين للأدب الإسلامي زاعمين أن الدعوة إلى الأدب الإسلامي تعني أن ما لايدخل فيه يكون أدباً غير إسلامي، وبالتالي يكون أصحابه متهمين في عقيدتهم ودينهم.

ومن المسلم به أن النص الأدبي في مضمونه وشكله هو الذي يحدد نسبته إلى مذهب أدبي معين، والأدب الإسلامي أدب مضمون في الدرجة الأولى، وكل نص أدبي ينطلق من هذا التصور هو أدب غير إسلامي، وقائله هو الذي أراد له ذلك حين اختار لنفسه أن يبدع نصاً مخالفاً للتصور الإسلامي، أو معادياً له، أو خارجاً عن ثوابت الإسلام وقيمه، وتبقى هناك كثرة من النصوص تقف على الحياد، فهي لاتصدر عن التصور الإسلامي، ولكنها لاتخالفه ولاتضاده، وهذه الكثرة من النصوص هي التي تدخل في الأدب الحيادي أو الأدب المباح، وهذا الأدب الحيادي أو المباح يبدع فيه الأدباء الإسلاميون وغيرهم، إذ لا يأخذ الأدب الإسلامي بمبدأ الإلزام الذي كانت الواقعية الاشتراكية تأخذ به، وإنما الأدب الإسلامي أدب ملتزم هادف يترك للمبدع أن يبدع أدباً إسلامياً يثاب عليه صاحبه، أو أدباً حيادياً أباحه الإسلام وهو ـ كما قدمنا ـ يشتمل على الأدب الجمالي المحض، وعلى أدب التسلية والترويح عن النفس، وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الترويح عن القلب دونما شطط وذلك في قوله: «روّحوا هذه القلوب ساعة بعد ساعة فإنها إذا تعبت كلت، وإذا كلت عميت».

ولقد كان من المسوغات الأولى للدعوة إلى الأدب

الإسلامي هو التصدي للأدب المضاد للإسلام بما فيه من إلحاد وانحراف وانحلال، وقد صنف القرآن الكريم الشعراء إلى فئتين: فئة أهل الغواية وفئة أهل الإيمان، وذلك في قوله تعالى:

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧)﴾ [٢٦/الشعراء ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦/٢٢٧].

وأما الشطر الثاني من السؤال وهو: أن إطلاق صفة «أدب إسلامي» يثير حساسية لدى الأدباء الآخرين.. فأقول في الرد على هذه الشبهة أن الناس لايزالون منذ عقود من السنين يطلقون على المفكر الذي يكتب عن الإسلام بجوانبه المختلفة لقب «المفكر الإسلامي» أو «الكاتب الإسلامي» ومع ذلك لم يقل إن إطلاق هذا اللقب أو هذا الوصف على نفر مختصين بالفكر الإسلامي، يعني إتهام غيرهم في عقيدتهم أو دينهم، وإنما يعني إطلاق لقب المفكر الإسلامي أو الكاتب الإسلامي أو الأديب الإسلامي نوعاً من التخصيص الذي يدل على انقطاع المفكر أو الكاتب أو الأديب إلى هذا النوع من النتاج، أو غلبة هذا النتاج على ما يكتبه إن كان مفكراً أو ناقداً، أو على ما يبدعه إن كان شاعراً أو قاصاً أو كاتباً مسرحياً.

ومن البديهي أن يكون هذا المفكر الإسلامي وهذا الأديب الإسلامي صادرين عن التصور الإسلامي الصحيح إذا كانا صادقين فيما يكتبانه، وبعيدين عن النفاق أو الارتزاق، وهل يطلب من الأديب المسلم الذي يملك الموهبة والمقدرة الفنية أكثر من أن يصدر في عطائه عن التصور الإسلامي ليكون أديباً إسلامياً؟

وهل يملك المسلم الملتزم بالإسلام أن يخالف التصور الصحيح، أو يأتي بما يضاده ويصادمه؟ وبخاصة أن هذا الالتزام لايحجر واسعاً، ولايشكل قيداً، ولا يضيق عن تجربة إنسانية.

■■ ماهو موقفكم من الآخر.. سواء أكان نظرية أدبية أم مذهباً أدبياً أم ناقداً معارضاً؟

●● ينبغي أن يكون موقف الأديب الإسلامي من أي نظرية أدبية أو مذهب أدبي منطلقاً من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «الحكمة ضالة المؤمن وأينما وجدها فهو أحق بها».

وهذا الحديث النبوي يصح أن يكون منهاجاً إذا طبق بوعي وتدبر بعيداً عن الانبهار والتبعية من جهة، وبعيداً عن الانغلاق والتقوقع من جهة أخرى، فالأدباء الإسلاميون أجدر من غيرهم بالموازنة السليمة بين الأصالة والتجديد، وبين الانطلاق من التراث الإسلامي والانفتاح على الأدب العالمي، أما النقاد المعارضون للأدب الإسلامي فينبغي أن ننطلق في التعامل معهم من قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)﴾ [١٦/النحل/ ١٢٥]. ومن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤)﴾ [٤١/فصلت/ ٣٤]، وقد أخذنا بهذا التوجيه القرآني في مقابلة المعارضة الشديدة التي جوبهت بها الدعوة إلى الأدب الإسلامي في بدايتها، فخفت حدة المعارضة بعد توضيح مفهوم الأدب الإسلامي أمام المعارضين، والدخول في حوار معهم سواء في المقابلات الخاصة أم الندوات الأدبية أم في الصحف والمجلات وقد أدى هذا إلى أن بعض المعارضين المنصفين مالبثوا أن أصبحوا من الملتزمين بالأدب الإسلامي، وصار بعضهم من أعضاء رابطته العالمية.

ولا ننسى أن افتتاحية العدد الأول من مجلة الأدب الإسلامي تضمنت دعوة مفتوحة لنشر أي مقال معارض للأدب الإسلامي شريطة أن يلتزم كاتبه بالموضوعية.. ومازالت الدعوة مفتوحة لأننا لانخشى آراء المعارضين، ولا نتهرب من مواجهتها بالحجة والمنطق.. لأننا نعلم أننا على جادة الحق مادمنا نستمد دعوتنا إلى الأدب الإسلامي وننطلق فيها من مشكاة القرآن الكريم وهدي النبوة، والله ولي التوفيق.